يسوع .. فلتنظر إليه

(ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع)

(عب ١٢:٢)

للدكتور روبرت . ج . لي

Rev Robert Greene Lee (1886-1978)

من أقدر الوعاظ ، يتميز بخيال خصب رائع ، وقدرة على انتقاء الألفاظ القوية ، والمعاني الجامعة للبيان ، مما جعل الجموع تزدحم في كنيسته المعمدانية في مدينة ممفيس بولاية تنيسي بالولايات الجنوبية ، فيؤم هذه الكنيسة عدد يزيد على السبعة آلاف كل يوم أحد . وهو من خطباء المجامع المفوهين ، اذا ما انبرى وله عدة للعصريين والملاحدة صب عليهم جامات الغضب بأسلوب يحبس الأنفاس وله عدة كتب تجمع كثيرا من عظاته التي اشتهرت في أماكن مختلفة بأمريكا وله طريقة فذة في إيراد المترادفات المتلاحقة كأنه السيل الجارف.

يسوع ، معجزة الدهور ، في مجده ، أسمى مثل الآداب، وأعلى شخصية ، أقوى معضلة للنقاد ، وأمتن أسس العقيدة ، وأحوج ما يطلبه الدين . احتل المركز السامي لكل ما تتشوق اليه النفس ، وما تصبو اليه الهيئة الاجتماعية وما يقوم اعوجاج السياسة ، وما يثبت العقيدة . وفي شخصه جمع مقياس الكمال ، وميزان الرزانة ومحك

الأخلاق . نعم ، لقد نشأ في أحضان الفقر ، ونبت من أمة ممتهنة ، اذلت تحت نير الغزاة ، ثم تشتتت بعد أربعين عاما من موته.

انه لم يخط سطرا في كتاب ، ولم ينظم قصيدة ، ولم يضع بندا في أحكام دستور ، ولم يؤلف جيشا ، ولم يبن عمارة بحرية، ولم يحمل سيفا ، ولم ينشيء مكتبة عامرة ، ولم يصحب مراسلا ، ولم يخترع أداة علمية ، ولم يضع أساس امبراطورية عالمية بل لقد رفضته خاصته ، وصلب بأيدي أثمة ، واهين من اشرار . أجل. ان سلطان نفوذه ، ومقدرة عظمته تخطت نفوذ اقدر الكتاب ، وابلغ الوعاظ ، وأكبر الفلاسفة ، وأشهر الصحفيين ، وأشجع الجند ، وأدق العلماء ، وأحلى المغنين ، وأمهر المصورين ، وأبرع الرسامين. لقد تضوع اسمه شذى على صفحات التاريخ كما يتضوع أريج الزهر مجموعا من ألف ربيع في بستان واحد ، ورن في أرجاء العصور كما ترن الموسيقى من ألف جوقة في نشيد واحد ، وعطر أجواء القارات بأسرها كنفح الطيب حمله النسيم من جنة الخلد ، وحمل راية المساواة وركزها على القُصَر وسوق الأرقاء سواء بسواء .

بالأمس رقمت خطاياك مؤرخا بميلاد المسيح . أن الإغريق حاولوا أن يؤرخوا من الألعاب الأولمبية فباءوا بالفشل . واجتهد الرومان أن يؤرخوا من تأسيس مدينة روما فلم يفلحوا . وحاولي اين يوستنيان أن يؤرخ من جباية الضرائب فأخفق . وحاول الثوار الفرنسيون أن يؤرخوا من الثورة فلم يفلحوا . أجل ، أن يسوع انطبع أسمه غرة في جبين الزمن ، بل نصر تقويم الدنيا بأسرها . فما لم يستطعه اليهود والإغريق والرومان والفرنسيون ، استطاعه يسوع ، وهو لم يكتب في حياته الا مرة واحدة . وها اسمه قد سجل علامة فخار في كل صقع وربع. وانطبع على الاقتصاد السياسي والقانون والمعاهد والآداب والفنون والموسيقى والفلك وعقول الناس بل ضمائرهم . فيا لك من فريد يا يسوع ! ويا لك من شخص جدير بالاعتبار !

(1) انظر اليه الأزلي الذي صار جسدا

وكما يسير فاتح الطريق أمام الملك يوم تتويجه لإعلان سلطة الملك وحقوقه هكذا يفتتح يوحنا أنجيله بجملة جديرة بالتأمل لأنها أنارت الأجيال المتعاقبة :« في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله . هذا كان في البدء عند الله . كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان .. والكلمة صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده مجدا كما لوحيد من الآب مملوءا نعمة وحقا ». فيسوع هو فكر الله الكامل منقولا الى رموز تفهمها عقول البشر . فما كان يدبر الله ، وما كان يفكر ، وما كان يحب قلبه الفياض بالعطف، هكذا كان يسوع الناصري . لأنه عبر عن فكر الله تمام التعبير ونطق بالقول الحق مرة والى الأبد ، بكلام لا لبس فيه ولا غموض فقطع «جهيزة» قول كل خطيب ، حتى لقد قال فيه الرسول الملهم بوحي الروح القدس : « وكان الكلمة الله ». وما كان يسوع في أيام جسده نحو أم وولدها، وعشار وضال ،، ومراء، وزانية ، وأبالسة ، وقديسين ، وتلاميذ، وخطاة ، إلا الله الكائن ، في كل زمان ومكان ، نحو كل إنسان .

يسوع الممجد من الآب قبل كون العالم ، صار من نسل داود يسوع الممجد مع بحسب الجسد ،« لأنه ما كان الناموس عاجزا عنه فيما كان ضعيفا الآب من الجسد فالله اذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد». وحينما ألقى أعداؤه الشبهات حول مولده، ونظروا اليه نظرة الريب جابههم قائلا :« قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن »

أجل ، ان هذا الواجب الوجود قبل وجود العالم ، لم يكن في الجسد ، هنالك في بدء الخليقة والأرض لا تزال رضيعة ومقمطة في أثواب النور بين ذراعي «يهوه» القدير. لأن الكتاب يخبرها : « كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان ». ولم يكن جسدا حينما أسدلت يد الله الستائر الزرقاء على فحمة الليل لأول مرة فأسفرت عن أعجوبة الجلد رصعت صفحته الكواكب وتلألأت فيه عقود الدراري لأننا نعلم أنه حامل كل الأشياء بكلمة قدرته . ولم يكن جسدا لما انبثقت شهب الشعاعة الأولى فشقت

حنادس الظلمة وأرسلت إلى قلب الليل أول سهامها . ولم يكن جسدا حينما ترنم الطير بأول أغنياته ، وهبت الريح بأول نفحاتها ، واشتعلت النار بأول لهيبها ، وترقرقت المياه في أول تدفقها ، لأن بولس يقول : « فإنه فيه خلق الكل ما في السموات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى سواء كان عروشا أم سيادات أم رياسات أم سلاطين ، الكل به وله قد خلق . الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل ».(كو1: 16)

لكن أتى الوقت حينما صار هذا الأزلي جسدا . كان ذلك في اليوم الذي جاءت عذراء وحطت رحالها في بيت لحم وحملت بين ذراعيها ابن الله الأزلي ، وهكذا كانت كل عضلة فيه قد أحكمت السماء تركيبها وكل عصب من صنع الله ، وكل عظمة من بناء القدير ، وكل دقات القلب نبض سماوي ، وكل نفس همسة إلهية فإرادة الله ، بل غرضه ومشوراته ، تجسدت في يسوع المسيح حتى ليقول ملتون في ذلك :« ذلك الكائن المتوج بالمجد والجلال ، ذلك النور الذي لا يدني منه ، ذلك القبس الجميل ، موضوع موضوع تأملات العظمة ألإلهيه ، جليس مشورات الأزل، المتربع على عرش النور والبهاء، قد أخلى نفسه ، مفضلا أن يسكن معنا في ظلمة منزلنا الترابي»

فولادة يسوع الفريدة هي أبجدية إيماننا . إن قبلت هذا؟ فطريق الحياة يصبح ممهدا ، وان رفضته لا يستطيع أحد أن يصور عمي سبيلك المحفوف بالشكوك والجمود والضلال الذي يورد نفسك في النهاية إلى موارد عسرة .

تسربل ذلك الشخص العجيب في لباس ناسوتنا ، وتمثل في أحوال البشر ، ووجد في الهيئة كانسان . الخالق القدير ولد من مخلوق ، وساكن الأبد القدوس نزل في مذود . ابن الله وابن الإنسان معا . نعم ، كان هو ابن الإنسان حتى لنكاد نظن أنه ليس ابن الله ، وكان ابن الله حتى لنكاد نظن أنه ليس ابن الإنسان . كان إنساناً وكان إلهاً. كان إنسانا حتى شعر بالتعب ، وكان إلها حتى قال : (تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقالي الأحمال وأنا أريحكم). كان إنسانا حتى جاع، وكان إلها حتى أن اشبع خمسة آلاف من خمس خبزات وسمكتين. كان إنسانا حتى صلى ، والها حتى لم يعترف في صلاته بخطية . كان إنسانا حتى نام ، والها حتى استيقظ ووبخ البحر الهائج فسكت البحر كما

يسكت الطفل بين ذراعي أمه .. كان إنسانا حتى حملته سفينة ، والها حتى مشي على الماء لإغاثة التلاميذ في كربتهم . كان انساناً حتى لبي دعوة ريفية لحضور عرسها ، والها حتى حول الماء خمرا . كان إنسانا حتى شعر بالوحدة وحاجته الى صحبة البشر ، والها حتى قال (أنا والآب واحد)) . كان إنسانا حتى بكى عند قبر لعازر والها حتى قال « لعازر هلم خارجا ». فانظر إلى هذا الشخص **الفريد الذي صار جسدا** .

(٢) انظر الى المسيح المتجسد الصانع عجائب لا تحصي :

وعندي أنه كان معجزة أعجب من معجزاته . أجل، انظر اليه في جولات خدمته في عالمنا هذا . فما لاقى العمي إلا وفتح عيونهم ، والصم إلا ووهبهم السمع ، والبكم إلا وحل عقد ألسنتهم ، والخطاة الا وردهم إلى السبيل السوي ، ووهبهم حياة الفضيلة الناصعة ، والمرضى إلا ومنحهم الشفاء ، والبرص إلا وطهرهم ، والمجانين إلا ورد اليهم نعمة العقل ، وذوي الحاجات الا وفاض عليهم . وما واجه عاصفة إلا وسكنها ، وما دخل على مريض إلا وأقامه شافيا عافيا . وما قابل جنازة إلا وقلبها فرحا . ومن هذا يتبين لنا أنه في عالمنا هذا يوجد من هو أقوى من ناموس الطبيعة ، ذلك لأن مسيحنا قد ولد متحديا ناموس الحياة ، وقام من الأموات متحديا ناموس الموت.

وما يعزى قلبي هو يقيني أننا عائشون في كون لا يحد فيه الله من خليقته لأنه ليس مقيدا بنواميس وهو خالق العالم وكل ما فيه .

لست أدري لماذا يصدق الناس معجزات العلوم والاختراعات ويستبعدون معجزات الكتاب ؟ إذا أمكنني بواسطة العلوم الكيميائية أن آخذ نشارة الخشب وأصنع منها طعاما للأطفال فلم لا أصدق أن المسيح حول الماء خمرا ؟ اذا كنت أصدق أن أحد الطيارين قطع المسافة من نيويورك ألي باريس في طيارة منفردة فلم لا أصدق أن ايليا قد صعد إلى السماء في مركبة نارية ؟ إذا كنت أمسك التلسكوب فأنظر إلى أبعاد شاسعة تمتد إلى عدة أميال فلم لا أصدق أن أليشع رأى خيلاً من نار ومركبات من نار؟ يستبعدون أن يسمع صموئيل صوت الله يناديه في الهيكل وهم لا يستبعدون أن يجلس الانسان

بجانب موقده يسمع الموسيقى تعزف من جوقة في ألاسكا . وقد اسقطوا دبوسا أمام الميكروفون في شركة الإذاعة الأهلية بأمريكا وكبروا رنة الدبوس فإذا به يصير كصوت ألف مدفع من المدافع الضخمة ، تصم لقصفة الآذان إذا استطاع الإنسان أن يفعل ذلك فلم لا اصدق ما يقوله الكتاب ؟ شكوا وارتابوا في أن حمارا كلم بلعام ثم يجعلون إبرة تنطق بصوت «كاروزو" ذلك المغني الشهير حتى بعد موته تسمع صوته. استطاعوا أن يستخرجوا من الفحم الأسود ٥٠٠٠ لون مختلف ، ولا يصدقون أن الله يجعل خطايانا الحمراء كالدودى ابيض من الثلج ! خذ تعاليم أفلاطون وأرسطو وسقراط وضعها بجانب تعاليم المسيح فيظهر لك الفرق ، كالفرق بين الخيال والحقيقة وبين الشك واليقين.

مرة أورد أحد الخطباء الزنوج كلمة جمعت من البلاغة أروعها اذ قال :« لو حولنا كل السفن التي حملت الزنوج الذين بيعوا للرق والعبودية إلى صليب خشبي واحد ، لغطي الولايات المتحدة كلها واتصل رأس الصليب الى المحيط الأطلنطى وذراعه نمتد الى البحيرات والذراع الأخرى في الخليج والرجل في الباسيفيكي . ولو حولنا كل العبيد الى رجل واحد ضخم لغطى جسمه هذا الصليب. ولو حولنا كل السلاسل التي قيدتهم الى مسامير لاستطاعت بالجهد أن تكفى لتسمير هذه الجسم الى الخشبة . ولو حولنا الدموع التي سفكوها والدم السائل من أجسامهم في العبودية الى سحابة واحدة لبلت كل أمة على وجه الأرض» . خرجنا والعجب يتملكنا والواحد يقول لأخيه: لم يجد الدهر ببلاغة كهذه ، ولكن ما هذا أمام تعاليم المسيح؟!

إننا نرى تعاليمه متمثلة في كتابه - الكتاب المقدس - كلمة الله . تأمل في تعاليمه تتبين فيها الحنان متدفقا ، وتشتم العبير يفوح شذاه . ومع هذا فكان يتكلم أحيانا والناس يتراجعون كما من هول جبل متقد بالنار لأن كلمة الله تأتي اليهم كصاعقة ، فهددهم بأشد الويلات، أو كشهاب لامع أضاء الكون . فأنت ترى علو الكمال ، وصدق الغرض ، وعمق الحق في تعاليمه .

وحتى في أيامنا هذه ، أيام الارتداد والارتياب ، حين لا توجد للناس رسالة واضحة تهديهم إلى جادة الصواب ، ولا توجيه الى قصد نبيل ، يسرني أن أتأكد أن حاجتنا مكتنزة في شخص المخلص، ذلك الذي رد الناس الى الشريعة والى الشهادة ، وأقتبس من الكتاب ألفريد الذي أصبح هدفا للكفار يهاجمونه بمختلف الوسائل . وقد أشار الى أسفار موسي الخمسة وأشعياء ويونان ودانيال . فاذا كان الفادي يضع أهمية كبرى للكتاب بهذه الكيفية أفلا نفعل نحن المفديين ؟ نعم ، قد ثبت يسوع تعاليمه في خدمته على الأرض على صدق الكتاب فصرح بأن الحوت أبتلع يونان ، واستخدم هذا الحادث كمثل لقيامته من الأموات ، فلم لا أصدق أنا ذلك ؟ واذا كان الله قادرا أن يخلق أنسانا فبالتالي هو قادر أن يخلق حوتا مناسبا يستطيع أن يبتلع ذلك الإنسان .

ان الكتاب المقدس وصل الينا مبللا بدموع المنسحقين ، مفسرا بأكبر الأدمغة ، مبقعا بدم الشهداء الذين سلموا أنفسهم بسخاء ليرسلوه إلى أرجاء العالم ، أوراقه تكاد تبلى لكثرة استعماله بأيادي الأتقياء . ذلك الكتاب له أعداؤه أيضا . هاك «دقلديانوس» في القرن الثالث ، وهاك العصور المظلمة حينما خيل الى الناس أن نجم المسيحية أفل وأن شمسها قد دنت الى المغيب ، وما دروا أن الشمس كانت طالعة . وهاك «قوم بابين» الذي حاول أن يهدمه ، وهاك «انجرسول» الذي صوب اليه سهام الحاده . ففي كل عصر تجد أمثال يهويا قيم الذي حاول أن يمزقه . وهذا يذكرني بقصة رجل عجوز ورث ساعة من جده ووقفت ، وفي يوم ملأها فابتدأت تدق حتى دقت مائة ، فصاح الرجل الى زوجه العجوز قائلا : " ايتها العجوز هيا اصحى من النوم ، قومي استيقظي ، لأني لم يسبق لي ان رايت الوقت تأخر الى هذا الحد" .

ومع كثرة عدد أعدائه لست أرى خيطاً واحدا من نسيجه قد انتقص ، ولا قطرة واحدة من شهده قد ضاعت ، ولا وتراً واحداً من قيثاراته قد انقطع ، ولا شرارة واحدة من ناره الأبدية قد انطفأت . هيا تتبع طريقه في سبل لم تدسها أجراء السباع واسمع نداءه على أبواب لم تقرع من قبل ، واستمع اليه يخاطب الخلائق بلسان أمهاتهم ، واصغ بانتباه تجده يخاطب الناس بألف لسان .

شيء آخر : أريد أن أقضي برهة هناك في الهيكل المقدس حيث لا تجرؤ أرجل غير طاهرة أن تطأ أرضه - عند الصليب .

(٣) انظر الى يسوع المصلوب :

يسوع الذي توافقت كل أجزاء حياته مع الرحمة والحق والعدل والمحبة ، صار لعنة ، بل صار خطية لأجلنا ! المعلم الذي جاء من عند الله معلما صار خطية ، بل صار لعنة ! يا عجبا ! صورة الله غير المنظورة ، بهاء مجده ورسم جوهره ،، صار لعنة ، صار خطية ! وارث كل شيء الذي به كان كل شيء صار لعنة، صار خطية! الذي حسب أهلا لمجد أكثر من موسي بمقدار ما لمن بنى البيت من كرامة أكثر من البيت صار خطية ، صار لعنة ! المدعو من الله كاهنا على رتبة ملكي صادق صار لعنة ! ذاك الذي قال عنه الآب : « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت » صار خطية !

توجد آية بقيت عشر سنوات أتردد أن أتكلم عنها حتى نلت الشجاعة أخيرا وأخذتها آية لموضوعي وهي قوله : « لأنه جعل الذي لم يعرف خطية ...». فعلى الصليب صار يسوع كل ما كان ينبغي أن يدينه الله ، حتى بالإيمان به يمكن أن نصير كل ما لا يمكن أن يدينه الله . فيا له من حق مبارك ..

(4) لنلتفت من الصليب وننظر الى يسوع المقام من الأموات :

كان يوما رهيبا ذلك اليوم الذي فيه مات المسيح . شغب ، وجند ، وليل دامس ، ودم قاطر ، واصوات ، وبروق ، ورعود وزلزلة وحجاب الهيكل ينشق من فوق إلى اسفل . كان للتلاميذ ذلك اليوم عصيبا ! ورأوا اكليله فإذا هو شوك ، وملكوته فإذا هو قبر ، وكأسه وإذا هي إسفنجة من الخل والمرارة ، وصولجانه قصبة ، وعرشه صليب من خشب ، وقصره قبر مظلم . رأوا النهاية أتت عليهم في ذلك اليوم وتحولت الحياة لهم إلى قفر يباب ، وبرية قاحلة ، لا ربيع يعبق ، ولا زهرة تتفتح . بل ليل داج يجرجر أذياله ببطء . أغمضت السماء عيونها فلا تتفتح على نجم يتألق أو كوكب يرسل لمعانه ، والكل صاحوا «لقد مات»، أجل، هناك في ذلك اليوم المجيد ، بل في صباح الغلبة

والقيامة قام ناقضا أوجاع الموت وأرسل دوي النصرة في كل الأجيال والعصور . انه حي ، وله وحده مفاتيح الهاوية والموت .

و انه لم يكن مسيحاً ميتاً ذلك الذي أوقد شرارة نار يوم الخمسين في تلك العلية حتى قام التلاميذ حاملين الإنجيل فلم يقفوا الا على أبواب الوثنية . ولم يكن مسيحا ميتا ذلك الذي حبس نظر استفانوس في ذلك الجمال الباهر فجعله يطلب المغفرة لمعذبيه . ولم يكن مسيحاً ميتا ذلك الذي طرح شاول العنيد الى الأرض فلم يقم الا بعد ان صاح «ماذا تريد يا سيد أن أفعل ؟».

بينما تنقلب صحة اليوم فتصبح مرض الغد ، وبينما تضحى ثروة اليوم فاقة الغد ، وبينما تتبخر سعادة اليوم وصحبة الرخاء إلى وحشة القلب المتوجع غدا ، فان مسيح اليوم سيظل مسيح الغد لأنه هو هو أمسا واليوم والى الأبد . لا توجد عنده بالوعة اليأس ، ولا جبل الصعوبة ، ولا قلعة الشك . هو يحملنا كل الطريق ما دمنا في رفقته . وكل آلة صورت ضدنا لا تنجح . فحينما ننظر الى القبر الفارغ نقول مع بطرس :« مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات ، لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ في السموات لأجلكم ». (1 بط 1: 3-4)

يسوع الفريد ! مخلصك ! مخلصي ! الذي حمل خطايانا في جسم بشريته على الخشبة. الذي صار على الصليب كل ما ينبغي أن يدينه الله حتى أصير أنا بالإيمان به كل ما لا يمكن أن يدينه ، هذا الشخص العجيب ستحظى يوما بالنظر إلى وجهه ، فانظر اليه الآن !.

ترتيب وتنسيق الأخ/ صفوت زكي سمعان

الرب يستخدم هذه العظة لمجد اسمه